بولس وتأسيس المسيحيّة في رأي المسلمين

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس، الكسليك

مقدّمة

يدّعي الكثير من المسلمين أنّ المؤسّس الحقيقيّ للمسيحيّة هو بولس الرسول[١]، كما يدّعون أيضًا أنّ التعاليم التي ألقاها السيّد المسيح لا علاقة لها بتعاليم بولس، وأنّ بولس الرسول قد حرّف المسيحيّة[٢] وغيّر فيها بسبب تأثّره بالوثنيّة، وكان هو السبب في نشر المسيحيّة الحاليّة، الخ؛ ويعتقد الشيء ذاته كتّاب وباحثون مسلمون، أمثال د. أحمد شلبي[٣]، وغير مسلمين، أمثال اللاهوتي الألمانيّ فرديناند كريستيان باور[٤]، وولْز الذي يقول: "إن كثيرًا من الثقات العصريّين يعدّونه المؤسّس الحقيقيّ للمسيحيّة"[٥]. لكن ما يهمّنا الآن هو آراء عدد من المسلمين في هذا الموضوع.

إنّ القول بأنّ بولس هو المؤسّس الحقيقي للمسيحيّة هو طرحٌ قديمٌ جدًّا، الغرض منه هو الإقناع بأنّ المسيحيّة هي دِيانة لا علاقة بها بتبشير الربّ يسوع المسيح وبتعاليمه، وأنّ مَن وضع أسسها وأطلقها هو شاول–بولس. هذا ما ادّعاه الكثيرون، في العالمَين اليهوديّ والإسلاميّ، وحتّى في ما بين المسيحيّين. لقد علّق البابا بنديكتوس السادس عشر على هذا الأمر قائلاً:

"إن الأهمّيّة التي يوليها بولس لتقليد الكنيسة الحيّ، الذي كان ينقله إلى جماعاته، تدلّ كم كانت مخطئًا رأيُ مَن ينسب إلى بولس اختراعَ المسيحية؛ فقبل أن يكرز بيسوع المسيح سيّده، كان قد التقاه على طريق دمشق، وتعرّف إليه من خلال الكنيسة، مراقبًا حياته في الاثني عشر وفي أولئك الذين تبعوه على طرقات الجليل"[٦].

---

(١) نذكر على سبيل المثال: محمّد علي برّو العامليّ، **الكتاب المقدّس في الميزان**، الدار الإسلاميّة، بيروت، لبنان ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م؛ أحمد زكي، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، توزيع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥.

(٢) أنظر، مثلاً، عبد الجبّار، **تثبيت دلائل النبوّة**، المحرّر سنة ٩٩٥.

(٣) رج أحمد شلبي، **سلسلة من الكتب في مقارنة الأديان**، **المسيحيّة**، ط ١٠، ١٩٩٨م، ص ٩٣؛ محمّد إبراهيم كركور، **تطوّر المسيحيّة بين عيسى عليه السلام وبولس**، الناشر: مركز التنوير الإسلاميّ ٢٠٠٦..

(٤) في سنة ١٨٣١ عرض اللاهوتي الألمانيّ فرديناند كريستيان باور موضوع التناقض بين يسوع وبولس لأوّل مرّة في مقال نشره في **مجلّة تُوبنغن للاهوت**:

Ferdinand Christian Baur, « Die Christuspartei in der Korinthischen Gemeinde, der Gegensatz des petrinischen und paulinichen Christenthums in des ältesten Kirche, der Apostel Paulus in Rom », *Tübinger Zeitschrift für Theologie* 4 (1831) 61-206.

(5) Wells, *Outline of History*, NY: Macmillan, [3]1921, vol. 3, p. 695.

(٦) البابا بنديكتوس السادس عشر، المقابلة العامّة في ساحة مار بطرس، ٢٤ أيلول ٢٠٠٨.

لكن لنعرض بدايةً وبالإيجاز ما يقوله اليهود حول دور بولس في تأسيس الكنيسة، قولٌ يتوافق المسلمون فيه معهم، ولو كان الهدف ليس واحدًا بالمطلق.

١ – توافق اليهود والمسلمين على اعتبار بولس مؤسِّسَ المسيحيّة

قبل معالجة مسألة قول **المسلمين** بأنّ بولس هو مؤسّس المسيحيّة، لا بدّ من أن نشير إلى أنّ لدى **اليهود** مواقف قد تكون مشابهة جدًّا.

– فاليهود يشدّدون وبإلحاح على أنّ بولس هو مؤسّس المسيحيّة. بالنسبة إلى دايفِد فْلوسّر، وهو أستاذ في الجامعة العبريّ في أورشليم–القدس، مثلاً، لم يشأ يسوع أن يؤسّس ديانةً جديدة، ولا حتّى جماعة جديدة، بل الدفع باتّجاه تحريك الوعي[٧]. كذلك شَلُوم بِن حورين خصّص مؤلَّفًا لمن يدعوه "الأخ يسوع"[٨]. في هذه الحالة، لماذا الحركة المسيحيّة انفصلت بسرعة عن اليهوديّة ولم تبقَ حزبًا، أو شيعة مسيحانيّة بين غيرها من الأحزاب أو الشيع؟ بنظر بن حورين، المذنب في ذلك هو معروف: إنّه بولس الرسول. بالموازاة، يؤكّد **المسلمون**، وبإلحاح مماثل لإلحاح اليهود، على أنّ يسوع ليس هو مَن أسّس المسيحيّة بل بولس، كما سنرى أدناه.

– ويدّعي **الإسلام** أنّه يعرف يسوع أكثر من الجميع وأفضل منهم، لأنّ القرآن الذي يتكلّم عليه، هو، في نظر المسلمين، نازل مباشرةً من عند الله. ويدّعي **اليهود** الأمر عينه، لأنّ يسوع كان يهوديًّا.

هكذا يبني كلُّ واحدٍ منهم يَسُوعَه؛ فأحيانًا هو بمنزلة **رابّي** شبيهٍ بالرابّينيّين الذين كانوا في أيّامه، والذين تشهد عليهم **مِشْنَه التلمود**، وأحيانًا أخرى **نبيًّا مسلمًا** حسّاسًا جدًّا تجاه الفقراء ومتضامنًا معه إلى أقصى حدّ، يُدْرَجُ في الخطّ النبويّ ومن جهة محمَّد.

في ظَنِّ البعض، قد يكون بولس هو مَن استنبطَ قيامةَ يسوع، وألوهتَه، والثالوثَ، والخلاصَ الشامل، ووساطةَ المسيح الوحيدةَ بين الله والبشر، والأسرارَ؛ بالنتيجة، قد يكون بولس هو مَن خلقَ العقيدةَ المسيحيّةَ والكنيسةَ[٩]: ديانة جديدة قد لا يكون يسوعُ الحقيقيُّ، يهوديًّا كان أمْ مُسلمًا، قد أسّسها ولا أرادها.

لكنّ **الإسلام** يؤكّد على أمومة مريم العُذْريّة[١٠]، وارتفاع المسيح إلى السماء (لم يُصْلَب)، دون التعرُّض لبولس حول هاتين النقطتَين. و**اليهوديّة** تؤمن بانتخاب شعب فريد في التاريخ البشريّ مع عهد محدّد، دون تدخّل بولس. كلُّ واحدٍ، كما نرى، يُبقي له فناءً خَلْفِيًّا للأمور التي يصعب تصديقها.

في الحقيقة، لم يَبْنِ أيُّ مؤسِّسِ ديانة بُنْيَاتِه، ومؤسّساتِه، وطاقمَه، وعقيدتَه الموسَّعة، وعبادتَه، جملةً وتفصيلاً وبصورة قاطعة. لم يضع المؤسِّسون سوى الأُسُس، ولكنّهم هم المبادرون والبادئون.

هذا الأمر ليس خاصًّا بيسوع؛ لذا نحن نتساءل:

– هل انفصل بولس عن يسوع ليصنع منه أسطورة لا تُصَدَّق، عِلْمًا أنّها مقبولة من الكثيرين؟

– هل يمكن وضع بولس مقابل يسوع؟ وأيّ يسوع: اليهوديّ، أم المسلم، أم المسيحيّ؟

(7) Cf. David Flusser, *Jésus*, Paris: Seuil, 1970.

(8) Cf. S. Ben-Chorin, *Bruder Jesus*, München: Paul List, 1967. Cf. H. Maccoby, *The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity*, Londres, Weinfeld and Nicholson, 1986; H. Graetz, *Geschichte der Juden von den ältesten Zeiten bis zur Gegenwart,* 11 vol., Leipzig, 1853-1870, cité par D. Hagner, *op. cit.* , 144-145..

(٩) محمّد علي برّو العامليّ، **المرجع ذاته**، ص ٣١٧ي.

(١٠) محمّد علي برّو العامليّ، **المرجع ذاته**، ص ٤٣٨ي؛ أنظر أيضًا ص ٣٨٩ي.

إذا أعرضنا عن نصوص المسيحيّين وتقاليدهم، ينبغي أن نُقِرَّ أنّه لا **اليهوديّة** ولا **الإسلام** قادرَان على أن يقولاَ الكثير على يسوع، ولا أن يُعطِيَا عنه شهادة دقيقة بما فيه الكفاية؛ فالمسيح نعرفه بواسطة المسيحيّين وكتبهم المقدّسة، وما حقّقه النقد الحديث، بالرغم من التلمّسات الضروريّة، لم يكذّب صحّةَ النصوص، لكنّه يُتيح المجال لفهمٍ أفضل لهذا الإرث الحيّ منذ ألفَي سنة.

٢ – بولس مؤسِّس المسيحيّة: كيف يبرهنه البعض؟

سنعرض في ما يلي آراء بعض الكتّاب المسلمين وغيرهم حول اعتبارهم بولس المؤسِّس **الحقيقيّ** للمسيحيّة وللكنيسة:

٢/١ – شريف محمّد هاشم

وضع شريف محمّد هاشم مؤلّفه، **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**[١١]، ليردّ به ومن خلاله على كتاب أبو موسى الحريريّ، **قسٌّ ونبيّ**[١٢]. هو يرى أنّه "في رسائل بولس يكمن سرّ المرض المسيحيّ العضال، وإليها تعود مشاكل المسيحيّة المستعصية"[١٣]. ويضيف: "إنّ الثمن الأكبر الذي دفعته المسيحيّة، بسبب إيمانها بمبادئ بولس، كان طلاقها النهائيّ للتوحيد...، واستبداله بتوحيد معقّد مركّب، هو في الواقع شِرْكٌ مبطّن، لا يغطّيه إلاّ رداء شفّافٌ فاضح من التوحيد... ولم يلجأ المسيحيّون إلى رسائل بولس، إلاّ عندما أخذ العقل المسيحيّ يضطرب بمئات من عقائد البدع، وبعد أن تكاثرت الأناجيل... عندها لجأ المسيحيّون إلى بولس... أضحت رسائله... إطارًا لمجموعة من العقائد... ترك بولس للمسيحيّة أربع عشرة رسالة، أرست نظريّات جديدة للكنيسة... لتصبح قاعدة الإيمان المسيحيّ ومنطلَقَه..."[١٤].

يُبرز هاشم **ما أدرجه بولس من عقائد في كلٍّ من رسائله**، التي أضحت بعد ردحٍ من الزمن قاعدةَ الإيمان المسيحيّ ومنطلقَه، نوردها كما جاءت في المؤلَّف الذي نحن بصدده، وهي توجز ما يكرّره العديد من المسلمين في هذا السياق:

– "**رسالة بولس إلى أهل رومة**، فيها وضع بولس أهمّ المداميك في بنيان نظريّاته حول المسيح، معلنًا أنّ **للمسيح طبيعتيَين، طبيعة إنسانيّة وطبيعة إلهيّة**. وفيها نادى بولس بنظريّة **التجسّد والصلب والقيامة**... وفي الرسالة عينها ساوى بولس بالخطيئة بين اليهود والوثنيّين، وفيها طعن بأوّل وأهمّ مبادئ الناموس اليهوديّ، وهو الختان، معتبرًا أنّ الختان هو ختان القلب، وليس ختان الجسد، وفيها أعلن أنّ **الخلاص هو بالإيمان بالمسيح**، وليس بالأعمال وفق الناموس اليهوديّ. وفيها أيضًا كشف بولس بصراحة ووضوح عن نظريّته القائلة بأنّ **عيسى هو ابن الله**، وأنّه **تجسّد وصار إنسانًا مثلنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة**.

– في **رسالته الثانية إلى قورنتوس** أضاف: "مبارك الله أبو ربّنا يسوع المسيح"، حيث أدخل بولس **أبوّة الله للمسيح**، أو **بنوّة المسيح لله**...

– في **رسالته إلى غلاطية**... أعلن بولس بشكل حادّ **بطلان شريعة موسى**...: "شريعة موسى كالمؤدّب... أمّا وقد جاء المسيح، فلا حاجة إلى المؤدّب، ولذلك بطلت الشريعة وزالت" (غل ١: ١٩–٢٠)...، بينما المسيح أعلن بصراحة وحزم: "لا تظنّوا أنّي جئتُ لأبطل الشريعة والأنبياء..." (مت ٥: ١٧...). المسيح

(١١) شريف محمّد هاشم، **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، مؤسّسة الوفاء، بيروت، لبنان ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.
(١٢) أبو موسى الحريريّ، **قسٌّ ونبيّ. بحث في نشأة الإسلام**، ١٩٧٩.
(١٣) شريف محمّد هاشم، **المرجع ذاته**، ص ٢٢٣.
(١٤) شريف محمّد هاشم، **المرجع ذاته**، ص ٢٢٦–٢٢٧.

يوصي بأن لا يزول حرف أو نقطة من الشريعة، فيما يعلن بولس بطلان الشريعة بكاملها.

– في **رسالته إلى أهل قولوسّي** يقول بولس: "... حيث المسيح جالس عن يمين الله". بهذه الرسالة **رفع بولس المسيح إلى مرتبة الألوهيّة**....

– لم يأت بولس بذكر **للروح القدس** بمعنى **كونه أقنومًا إلهيًّا ثالثًا** إلاّ في **رسالته إلى أفسس**... وفي **رسالته إلى أهل روما**... **أعلن اكتشافه الأقنومين الأوّلَين، الإله الآب، والإله الابن.**

– أمّا في **رسالته إلى أهل فيلبّي**، فإنّ بولس يطالعنا بأمر خطير، عندما يعلن **المساواة المطلقة بين المسيح وبين الله**، لا بل في ما نقله بولس لنا، يبدو المسيح زاهدًا بهذه المساواة وغير متحمّس لها (فيل ٢: ٦، ٧، ٨).

– في **رسالة بولس إلى أهل قولسّي**، نستطيع التأكيد أنّ **المسيح لم يَعُد الابن الوحيد، ولا المصلوب بأمر الله الآب، وإنّما الله بالتمام والكمال**، بعد أن **أسبغ عليه بولس كلّ ما يقال لله** ولله وحده (رج قول ١: ١٥).

– في **رسالة بولس إلى طيموتاوس** موقف متجنٍّ من المرأة إذ يتّهمها أنّها "هي وليس آدم سبب الغواية والمعصية... وفي هذه الرسالة عودة من القدّيس بولس إلى **موضوع الرقّ**، حيث نجد **لمؤسّس المسيحيّة الحاليّة**، من هذا الموضوع الإنسانيّ الدقيق، موقفًا غريبًا...؛ فهو **يوصي العبيد بتعظيم أسيادهم، ومضاعفة خدمتهم لهم.** والأدهى من ذلك، أنّ بولس يعتبر هذا الموقف من صلب العقيدة المسيحيّة... (١ طيم ٦: ١).

– في **رسالته إلى أهل أفسّس** اعتبر **أنّ طاعة العبد لسيّده واجبة** ومساوية لطاعة العبد للمسيح نفسه (أف ٦: ٥).

– وفي **رسالته إلى العبرانيّين** يركّز بولس **المسيح عن يمين الله**، وينقل لنا محادثة جرت بين الله وابنه الوحيد ("قال له الله يومًا: أنتَ ابني..."). في الرسالة عينها قال: "الله، بعدما كلّم الآباء بالأنبياء...، من فضل على أسمائهم"؛ **فالمسيح** بحسب هذه الرسالة قد **تدرّج من يسوع إلى ابن الربّ**، إلى إعلان سعادة الربّ بأبوّته له، إلى وارث كلّ شيء، إلى خالق العالمين، إلى بهاء مجد الله ورسم جوهره، إلى مطهّر الخطايا، وأخيرًا إلى **جالس في الأعالي إلى يمين الله** مفضّلاً على الملائكة؛ فمن **الرسالة إلى العبرانيّين** وما سبقها من رسائل، **دخل المسيح إلى الله**، وهو الأمر الخطير الذي **نسف كلّ الجسور بين المسيحيّة والتوحيد**، وجعلها تتوه وتضيع في متاهات جدليّة فلسفيّة.

بالإضافة إلى **غرابة نظريّات بولس حول الله و"ابنه الوحيد" وسواها**، نلاحظ أوّلاً أنّه **لم يأتِ في كلّ رسائله بذكر لمريم أُمّ المسيح.**

نرى المسيحيّين يعبدون في الواقع المسيح، أو "الله الابن"، بعدما طمست صورته الإلهيّة في أذهانهم ومخيّلتهم صورة "الله الآب.

إنّ اسم المسيحيّة والمسيحيّين، لا النصرانيّة والنصارى، هو الذي تداوله بولس في كلّ رسائله، وهذا يعزّز اعتقادنا بأنّ **طغيان اسم المسيحيّة على النصرانيّة كان بتأثير طغيان أفكار بولس...**، وأنّ **اسم المسيحيّة والمسيحيّين قد شاع بعدما صارت أفكار بولس في نيقية أساس الديانة المسيحيّة.**

غياب أيّ ذكر للعجائب والخوارق والمعجزات من رسائل بولس... هو مستغرب.

اعتماد نظريّات بولس قاعدة للإيمان المسيحيّ كان بمثابة **انتصار لبولس على حساب كلّ الأناجيل الأخرى**، وطعنة نجلاء في كبد الحقيقة، والعقل، والمنطق.

نظريّة التثليث، مبادئ جعلت للشرك فلسفة وتعليلاً ولإلغاء وحدانيّة الله فدلكة وتبريرًا.

هل كانت رسائل بولس حقيقة تاريخيّة لا شكّ حولها؟ أم أنّها دخلت هي الأخرى دائرة الشكّ والاتهام، أسوة بكلّ مصادر الإيمان المسيحيّ؟

الحقيقة المرّة تقضي بأن نذكر بأنّ حقيقة هذه الرسائل التاريخيّة لم تسلم من الشكّ والارتياب، إن لم يكن كلّها فبعضها على الأقلّ"[١٥].

ممّا تقدّم نستنتج أنّ ما أوجزناه من آراء محمّد

شريف هاشم يتكرّر أيضًا عند آخَرين من أمثاله، سابقين له ولاحقين[١٦].

٢/٢ – أحمد زكي الأردنيّ

يرى أحمد زكي[١٧] في شاول "**ألدّ أعداءِ المسيح**"[١٨]، ويعتبره **مؤسّسَ الكنيسة**، وليس المسيح، الذي لا علاقة له بها. ويوجز جوزف قزّي مضمون موقف أحمد زكيّ هذا كما يلي: "**شاؤول هو الذي أسّس الكنيسة، لا المسيح**؛ ولا علاقة للمسيح بالكنيسة، بل لم يعرفها، ولم يستعمل حتّى لفظها. ولقد أسّس شاؤول هذا الكنيسةَ ليقضيَ على المسيح وعلى المسيحيّة والإنجيل معًا، ويعودَ بعدئذٍ إلى صفاء اليهوديّة... وكان له هذا عندما علّم معتقدات هي أقرب إلى الطلاسم والأوهام منه إلى الحقائق والمقدّسات. **شاؤول هو الذي حدّد المعتقدات المسيحيّة** التي لا تخضع لأيّ منطق. وهو الذي قال بـ ثلاثة تساوي واحدًا، وبـ واحد يساوي ثلاثة. وقال بالمعموديّة لمغفرة الخطايا، وبالصلب، والقيامة، والكفّارة، والفداء، والخطيئة الأصليّة، وغيرها؛ فأبعدَ الأممَ عن الله الواحد، وعن القول بـ "لا إله إلاّ الله" الذي هو مفتاح الجنّة، التي منعهم عنها، ليتركها خاصّة لليهود وحدهم"[١٩].

إنّ الغاية التي يسعى أحمد زكي إليها هو أن "يظهِر لنا المسيح الحقيقيّ"[٢٠] الذي غلّفه شاول بقناعٍ نجح به في تشويه صورة المسيح.

وفي مكان آخَر يورد زكي استشهاد مت ١٠: ٥ بقول يسوع لتلاميذه، "إلى طريق الأمم لا تمضوا"، ليستنتج ما يلي: "هذا يفيد بأنّ رسالته ليست عالميّة، إنّما محدودة ببني إسرائيل فقط... وليس كمحمّد الذي أرسله الله للناس كافّةً... لكنّ شاؤول، ألدّ أعداء المسيح، هو الذي ضرب عرض الحائط بأوامر المسيح، فخرج إلى طريق الأمم، **وفَبْرَكَ لهم دينًا على حساب المسيح**..."[٢١]، لكنّ زكي تغافل عن قول يسوع لتلاميذه: "تكونون شهودي في أورشليم، وفي كلّ اليهوديّة، والسامرة، وحتّى أقاصي الأرض" (أع ١: ٨)!

ويعلن زكي أنّ المسيح، بنظر بولس، قد جاء ليرمّم **الشريعة** ويحييها، لكنّ هذه الأخيرة، وتحديدًا بعد مجيء المسيح، أصبحت **عاجزة** (رج رو ٣: ١٠–١٨)، لا بل **مضرّة**، "لأنّها تنشئ الغضب" (رو ٤: ١٥)، وقد "اندسّت لكي تكثر الزلّة" (رو ٥: ٢٠)، لذلك أكّد القدّيس بولس لقرّائه "أنّهم ليسوا في قيد الشريعة بل في قيد النعمة" (رو ٦: ١٤). في نظر بولس، لقد دعانا المسيح إلى الحرّيّة (غل ٥: ١، ١٣)، وقد كنّا من قبل مستعبَدين للخطيئة (رو ٦: ١٨–٢٢)، وللشريعة (رو ٦: ١٤؛ ٨: ٢؛ غل ٣: ١٣؛ ٤: ٥؛ رو ٧: ١)...

---

(١٥) شريف محمّد هاشم، **المرجع ذاته**، ص ٣٢٣–٣٤٢.

أنظر، مثلاً، محمّد إبراهيم كركور، **تطوّر المسيحيّة بين عيسى عليه السلام وبولس**، الناشر: مركز التنوير الإسلاميّ ٢٠٠٦.

(١٦) أحمد زكي، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، توزيع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥.

(١٧) أحمد زكي، **المرجع ذاته**، ص ٤٦٩.

(١٨) جوزف قزّي، **نزعنا القناع**، نِشْبِيْه ١٩٩٧، لبنان، ص ٨٧.

(١٩) أحمد زكي، **المرجع ذاته**، ص ٢١٣.

(٢٠) أحمد زكي، **المرجع ذاته**، ص ٤٦٩.

(21) El Hassan Ben Talal, *Islam et Christianisme*, Brepols, 1997, p. 38, 45, 57-58

يشاطر عدد لا بأس به من الكتّاب والمنظّرين المسلمين أحمد زكي آراءه، وهم على قناعة بأنّ بولس قد شوّه رسالة المسيح وضربها في العمق لكي يفرض مسيحيّةً تناسبه وعلى هواه.

٣/٢ – الأمير حسن بن طلال الهاشميّ الأردنيّ

يؤكّد الأمير حسن بن طلال الأردنيّ، في ما يتعلّق بالقدّيس بولس، ما يلي:

"إنّ **الأناجيل الأربعة**، التي دُوِّنَتْ ما بين العامين ٧٠ و١٠٠ ب. م.، قد **تأثّرت بوضوح بتعاليمه** (أي مار بولس)، على درجات متفاوتة... إنّ المسيحيّة التي هَيْمَنَتْ لتصبح ديانةً كونيّة، لم تكن مسيحيّةَ النصارى، بل تلك التي تأسّستْ على الأناجيل وكتابات العهد الجديد الأخرى، على الأخصّ رسائل بولس... لقد استقبل وجهاء أورشليم، يعقوب، والصفا (بطرس)، ويوحنّا، بولسَ ورفيقَه برنابا، فلم يضيفوا شيئًا على الإنجيل الذي عرضه بولس عليهم... من دون شكّ، **هو بولس مَن أعطى للكهنوت نظامه الأساسيّ** التقليديّ، الذي منه سيتوسّع الكهنوت المسيحيّ... **بولس** لم يكن فقط **في أصل شكل المسيحيّة** التي بقيت على قيد الحياة لتصبح ديانةً عالميّة، بل أيضًا **مؤسّس الكنيسة** بصفتها مؤسّسة منظَّمَة جيّدًا، لها سلطة هرميّة مفصّلة، تأتي سلطتها الرسوليّة من وضع الأيدي أو من "السيامة"[٢٢].

في آخِر الكتاب، يعرض حسن بن طلال، في جدولٍ، "الكنائسَ والطوائفَ المسيحيّة الرئيسيّة"، ويرى أنّ **مجموع هذه الكنائس وهذه الطوائف يتحدّر من "التعليم البولُسيّ"**، لكن وحده خَطٌّ صغير دون نسل، هو "**الكنائس اليهو–مسيحيّة**"، نشأ من تعليم الناصريّ. هذه **الكنائس اليهو–مسيحيّة تُعْتَبَر أمينةً لعيسى المسلم** الذي سيتكلّم عليه القرآن لاحقًا، والذي يعترف به المسلمون.

٤/٢ – تَجَمُّعُ "الحقيقة للجميع" التركيّ في فرنسا

وثّقتْ الكاتبة أنّي لوران في مقال لها ما قام به تَجَمُّعٌ تركيّ يُدعَى "الحقيقة للجميع"[٢٣]، الذي يسير على المنوال الإسلاميّ المتشدّد، ومقرُّه في مدينة كْرِايْ (Creil) الفرنسيّة، حيث انفجرت مسألة الحجاب سنة ١٩٨٩؛ فلقد أثار التجمُّعُ المذكور حفيظةَ الرعايا الكاثوليكيّة في فرنسا خلال صيف ٢٠٠٥ عندما أرسَلَ إلى هذه الرعايا مطويّةً يدعوها فيها صراحةً إلى نبذ المسيحيّة واعتناق الإسلام، وفيها "**يهاجم القدّيسَ بولسَ، رابّي روما**" (كذا)، الذي يصفه بأنّه **المزوِّر الرئيسيّ**، إذ إنّه "**أدخل في المسيحيّة عقيدة الثالوث، ونَسَبَ الألوهة إلى النبيّ يسوع**"[٢٤].

نشير إلى أنّ **اليهود** هم مع هذا الطرح الملائم لهم، لكن بطريقة أكثر جدليّة، ومستفيضة، ومتحاملة.

٥/٢ – إميليو بْلَتّي (Platti)

يؤكّد بْلَتّي[٢٥]، الأخصّائيّ في الإسلاميّات، ما يلي:

"يتّهم التقليدُ الإسلاميُّ المتأخّرُ القدّيسَ **بولسَ بأنّه تصوّرَ إعادةَ تفسيرٍ للإنجيل**، مشوِّهًا هكذا المعنى الأصليّ

(22) « La vérité pour tous », Creil, France.

يعرّف الموقع الإلكترونيّ الخاصّ بـ"الحقيقة للجميع"، بهذا التجمُّع التركيّ في كْرَايْ، فرنسا، فيقول بأنّه يهدف إلى تعريف الناس حقيقة الإسلام، وإزالة القناع الذي يغلّف الوجه الحقيقيّ الإسلام، من ثَمَّ إفهام الناس ذهنيّةَ ديانةٍ تدفع هؤلاء إلى الخير (http://www.net1901.org/association).

(23) Annie Laurent, « L'offensive de Creil », in *L'Homme Nouveau*, no 1351, 4 septembre 2005.

(24) Emilio Platti, *Islam...étrange?*, Cerf, 2000.

(25) Emilio Platti, *op. cit.*, p. 171-172.

لرسالة يسوع عن طريق إخلاء المظهرِ الأساسيّ لِسُنّةِ الله، أي "**الشريعة**"، من رسالته"[٢٦]. نجد من جديد موضوع التهمة الموجَّهَةَ إلى المسيحيّين بأنّهم **حرّفوا الكتب المقدّسة**، كما أيضًا إلى اليهود بأنّهم **حرّفوا التوراة**. في هذا السياق، **قد يكون بولسُ بنظرهم المحرّفَ الكبيرَ**. هذا الرأي كان قد وسَّعَهُ بنوع خاصّ **عبد الجبّار**، وهو أحد المعتزلة، في أواخر القرن العاشر[٢٧].

إنّ بَلْوَرَةً بشريّةً وبشكلٍ جوهريّ، تفيد في تصويرٍ مسبقٍ لنصٍّ يشتهر جوهريًّا بأنّه إلهيّ، وُضِع بشكلٍ استعاديّ، تبدو للتحليل أكثر اهتمامًا بالتطابق مع المفاهيم البولُسيّة من الاهتمام بالأصالة وبالأمانة للأصل؛ هي تبدو لعلماء الإسلام "تشويهًا غير معقول" لا يتطابق تاريخيًّا وعقائديًّا، لا مع رسالة الله، ولا مع تعليم يسوع، ولا مع الطقس الذي حفظه يسوع"[٢٨].

٦/٢ – سِرْج لاَفِّيتّ (Serge Laffitte)

سِرْج لاَفِّيتّ هو صحفيّ متخصّص في المجال الدينيّ في Le Monde des Religions. يتكلّم لاَفِّيتّ على "**بولس** الطرسوسيّ، الذي سُرعان ما سيُدعى **مؤسّسَ المسيحيّة ومنظِّرَها**"[٢٩].

٣ – توضيحات وردود

الكلّ يعترف بأنّ **رسائل بولس** ليست أطروحات لاهوتيّة، بل هي كتابات وُضِعَت في ظروف محدّدة. ليس بالإمكان إذًا الإغلاق عليه في واحدة من جُمَلِه، إذ يمكن معنى الكلمات أن يتبدّل وَفْقَ السياقات، ممّا يُلزِم التعاطي بأكبر قدر ممكن من الفطنة عندما نضع الواحدَ مقابل الآخَر، كما يلي:

– الإيمان–الأعمال،

– الإلغاء–التتميم،

– يسوع التاريخ–يسوع الإيمان.

ألَمْ يعلن بولس قائلاً: "أفَنُبْطِلُ الشريعة بالإيمان؟ معاذ الله! على العكس، نحن نثبت الشريعة!" (رو ٣: ٣١).

٣/١ – قبول بولس في الكنيسة التي كانت قائمة قبله

كلّنا يعلم علم اليقين أنّ الكنيسة كانت قائمة قبل بولس. نذكر بدايةً أنّ شاول وجد نفسه مضَطرًّا إلى أن يجاهد ضدّ آراءِ **كنيسةٍ مسيحيّةٍ كانت قائمة قبله** وأن يضطهدها، لأنّه كان يرى فيها خطرًا وجوديًّا على شعبه

(٢٦) عبد الجبّار، **المرجع ذاته**. رج:

Gabriel Said Reynolds, *A Muslim Theologian in the Sectarian Milieu: 'Abd Al-Jabbār and the Critique of Christian Origin*, Brill, Leiden, 2004.

حول موضوع التحريف، سلّط ج. س. راينولدس (G. S. Reynolds) الضوءَ على المصادر الإسلاميّة لمؤلَّفه، ألا وهو كتاب عبد الجبّار المذكور.

رج أيضًا مقالات S. Pines في:

Pines Shlomo, in *The Collected Works of Shlomo Pines*, Vol. IV, *Studies in the History of Religion* by Guy G. Stroumsa, The Magnes Press, Jerusalem 1996, p. 211-486.

(27) H. Boubakeur, *Le Coran*, Fayard 1985, p. 94.

يعود الكتاب إلى ابن حَزْم الأندلسيّ، **الفصل في الملل والأهواء والنِحل**، مطبعه الموسوعات، مصر سنه ١٩٠٤، ج ٢، ٢. هو كتاب في دراسة الأديان والفرق والمقارنة بينها. يُعَدّ ابن حَزْم (٩٩٤م–١٠٦٤م) من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا. متكلّم، أديب، وشاعر، وناقد محلّل، بل وصفه البعض بالفيلسوف. وكان وزيرًا سياسيًّا لبني أُميّة. أنظر أيضًا:

H. Boubakeur, *Traité moderne de théologie islamique*, 1985, p. 95-97, 108.

(28) *Le Monde des religions*, no 22, mars-avril 2007, p. 39.

(29) Cf. Jean-Yves Empereur, *Alexandrie Hier et Aujourd'hui*, Gallimard - Collection : Découvertes Gallimard, Culture et Société 2001.

وديانته: "أَمَّا شاول ما زالَ صَدرُه يَنفُثُ تَهديدًا وتَقتيلاً لِتَلاميذِ الرَّبّ. فقَصَدَ إِلى عَظيمِ الكَهَنَة، وطَلَبَ مِنه رَسائِلَ إِلى مَجامِعِ دِمَشق، حتَّى إِذَا وَجَدَ أُناسًا على هذِه الطَّريقَة، رِجالاً ونِساء، ساقَهم موثَقينَ إِلى أُورَشَليم" (أع ٩: ١–٢)؛ هذا يعني أنّه **أصلاً لم يؤسّس الكنيسة**، ولم يكن عليه بالتالي، بعد أن اهتدى إلى الإيمان بالمسيح (أع ٩: ٣–١٩)، أن يقوم بهذا العمل؛

– فهو، وقبل الانضمام إليها، كان متضايقًا جدًّا منها، لذلك كان قد أيّد رَجْمَ الشمّاس الهلّينيّ إسطفانوس: "وكانَ شاولُ مُوافقًا على قَتْله. وفي ذلكَ اليوم وَقَعَ اضطهادٌ شديدٌ على الكنيسةِ الَّتي في أُورشليم، فتشتَّتوا جميعًا، ما عدا الرُّسل، في ناحيتَي اليهوديَّةِ والسَّامرة" (أع ٨: ١)؛

– لاحقًا، وتحديدًا بعد اهتدائه على طريق دمشق، استقبله حنانيا التلميذ المؤمن بالمسيح في كنيسة دمشق، وأوضح له ما كان عليه أن يعمل (أع ٩: ٣–١٩)؛

– وبعد الإقامة سنوات ثلاث عند النبطيّين وفي دمشق (غل ١: ١٧) ، أقام خمسة عشر يومًا مع بطرس لاهتمامه بمسألة **الشركة معه ومع الكنيسة التي كانت قائمة قبل ذلك**: "وبَعدَ ثلاثِ سنوات صَعِدتُ إِلى أُورشليمَ للتَّعرُّفِ إِلى صَخْر، فأَقَمتُ عندَه خمسةَ عشرَ يومًا" (غل ١: ١٨)؛ "ولَمَّا عَرَفَ يعقوبُ وصَخْرٌ ويوحنَّا، وهُم يُحسَبونَ أَعمدةَ الكنيسة، ما وُهِبَ لي مِن نعمة، مَدُّوا إِليَّ وإِلى برنابا يُمنى المشاركة، فنذهَبُ نحنُ إِلى الوثنيِّين وهم إِلى المختونين" (٢: ٩).

– بحث عنه برنابا، وهو التلميذُ الذي كانت الكنيسة تعترف به، في طرسوس إلى أن وجده، وجاء به إِلى أَنطاكية، كما جاء في أع ١١: ٢٥–٢٦: "فمضى إِلى طرسوسَ يَبحَثُ عن شاول، فلمَّا وَجَدَه جاءَ به إِلى أَنطاكية، فأَقامَا سنةً كاملةً يَعملانِ معًا في هذه الكنيسة، ويُعلِّمانِ خَلقًا كثيرًا. وفي أَنطاكيةَ سُمِّي التَّلاميذُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مسيحيِّين".

– ويبيّن حَدَثُ بطرس في قيصريّة، حيث عَمَّدَ بيتَ كورنيليوس قائد المئة (أع ١٠: ١–١١، ١٨)، أنّ **الانفتاح على غير اليهود كان قد بدأ قبل بولس وبرنابا**؛

– وكانت **الرسالة لدى الوثنيّين في أنطاكيا قد بدأت قبل أن ترسل الكنيسة برنابا** إلى هناك: "غيرَ أَنَّه كانَ منهم قُبرُسيُّونَ وقيرينيُّون، فلمَّا قَدِموا أَنطاكِيَة، أَخَذوا يُكَلِّمونَ اليونانيِّينَ أَيضًا ويُبَشِّرونهم بالرَّبِّ يسوع. وكانت يدُ الرَّبِّ معهم فآمَنَ منهم عددٌ كثير فاهتدَوا إِلى الرَّبّ" (أع ١١: ٢٠–٢١)، كما **كانت قائمة في أورشليم مع فيليبّس وإسطفانوس**: "وكانَ إِسطفانُوس، وقَدِ امتلأَ مِنَ النِّعمةِ والقوَّة، يأتي بأَعاجيبَ وآياتٍ مبينةٍ في الشَّعب" (أع ٦: ٨)؛

– فقط بعد سبع سنوات تقريبًا من دخول بولس في الجماعة المسيحيّة، انطلق في رحلته الرسوليّة الأولى؛

– والملفت هو أنّ هذه الجماعة كانت تحت مسؤوليّة برنابا (أع ١١: ٢٢–٢٤)، ولم يَتَولَّ بولس مسؤوليّةً مباشرةً إلاّ بعد حوالى **اثنتي عشرة سنة من العيش في الكنيسة**، الأمر الذي يعني أنّ **الكنيسة كانت موجودة قبله**.

٢/٣ – كنائس محلّيّة عدّة نشأت قبل بولس

يمكننا أن نؤكّد أنّ كنائس محلّيّة عدّة نشأت قبل بولس ومعه لاحقًا، ممّا يعني أنّ الكنيسة كانت قائمة قبله، وليس هو مؤسّسَها:

– في **أفسس**، ولدى وصوله إلى تلك المدينة، كان هناك تلاميذ ليوحنّا المعمدان، مطّلعون على التقليد الإنجيليّ وعارفون به: "فقال: فأَيَّةَ معموديَّةٍ اعتَمَدْتم؟ قالوا: معموديَّةَ يوحنَّا" (أع ١٩: ٣)؛

– في **الإسكندريّة**، المدينة الهلّينيّة التي كان هناك

(30) Étienne Trocmé, *Saint Paul*, Que sais-je?, 2003, p. 89.

حضور يهوديّ قويّ[٣٠]، كما كانت هناك جماعات خارج فلَكِ بولس؛

– في **بلاد ما بين النهرين**، أديابين، والرها، وغيرهما، كما أيضًا في مناطق **الفرتيّين**؛

– لم يؤسّس بولس كنيسة **روما**، ولا كنائس **أنطاكيا** وباقي **سوريا**، ولا كنائس **فينيقيا** (صور، وعكّا، وصيدون)، ولا كنائس **قيصريّة** فلسطين، **وقبرص، والقيروان**؛

– في **آسيا الصغرى**، كان أبُولّس الذي تنشّأ في الإسكندريّة، يعلّم في **أفسس** وكورنتس قبل بولس. كذلك **كبّادوكيا، وبِيثينيا، وكيليكيا** (موطنه) ليس بولس مَن بشّرها بالإنجيل؛

– أمّا كنائس سفر الرؤيا (رؤ ١: ٤ي)، **أفسس** (٢: ١–٧)، **وإزمير** (٢: ٨–١١)، **وبرغاموس** (٢: ١٢–١٧)، **وتياتيره** (٢: ١٨–٢٩)، **وسرديس** (٣: ١–٦)، **وفيلادلفيا** (٣: ٧–١٣)، **ولاَوُدِقِيّة** (٣: ١٤–٢٢)، فكانت كلّها في حقل رسالة يوحنّا وليس بولس.

٣/٣ – التقليد الكنسيّ الشفهيّ نشأ قبل بولس

قبل أن يضع بولُس رسائله، التي هي زمنيًّا وبالتأكيد الكتابات المسيحيّة الأولى من العهد الجديد، **كان هناك في الكنيسة الأولى تقليد شفهيّ حيّ** لجماعة مسيحيّة ملتئمة حول الاثني عشر، الذين لم يكن بولس واحدًا منهم؛ هو ذاته يُقرّ بأنّ "يعقوب، والصفا ويوحنّا هم أعمدة الكنيسة" (غل ٢: ٩)، وهم الذين ثبّتوه. إنّنا بوضوح أمام **التقليد الرسوليّ**. لا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّه، في العالم البيبليّ، تسبق الحياةُ الملموسة التطوّرَ التأويليّ.

أن يكون هناك مسلمون أقلّ تأثّرًا بالتقليد الشفهيّ، لأنّه، استنادًا إليهم، أُنزِل القرآن من السماء دون تقليد سابق لذلك، فهذا ما باستطاعتنا أن نتفهّمه؛ ولكن أن يبدو اليهود أنّهم قد نسوا هذه المعْلومة في شأن بولس، فهذا ما يثير الدهش. **قبْل أن يكتب بولسُ رسائله، غاص في التقليد الرسوليّ** الحيّ الذي سيعطي الأناجيل.

وقبل بولس وقبل الأناجيل كان هناك تداول لأقوال (logia) يسوع ولأخبار أفعاله، أُعيدت قراءتها وفق الطرق اليهوديّة، ونجد تحريرها الأخير في أسفار العهد الجديد. إنّ أساس هذه التقاليد هو الشهادة لموت الربّ يسوع على الصليب، موت يصدم، وقيامته التي هي ليست أقلّ تحييرًا.

تُبرز الروايات شهودًا أحياء، وُدَعاء، مُحيِّرون، مثل: زكّا (لو ١٩: ١–١٠)، وقائد المئة الرومانيّ في كفرناحوم (لو ٧: ٢–١٠)، والمرأة السوريّة–الفينيقيّة (مر ٧: ٢٤–٣٠)، والمرأة السامريّة (يو ٤)، والمرأة الزانيّة (يو ٧: ٥٣ – ٨: ١١)، وبرطيما في أريحا (مر ١٠: ٤٦–٥٢)، ولعازر (١١: ١–٤٥)، وغيرهم؛ لقد تمّتْ إعادة قراءة هذه الروايات على ضوء الفصح، وهذا طبيعيّ، ولكنّ هذا لا يقلّل شيئًا من قيمتها. لا يعود بولس في رسائله إلى روايات يسوع وأقواله التي يعرفها، والتي ينشرها التقليد الرسوليّ، بل يعرض توليفيًّا مضمونها ذا المدلول اللاهوتيّ والروحيّ. إنّه إسهام مميّز ومكمّل لباقي النصوص المحفوظة؛ فهو يبيّن ما يعنيه العيش "في المسيح" (غل ٢: ١٦–٢٩).

٤ – لم يُقبَل بولس في الكنيسة إلاّ شيئًا فشيئًا

إذا راجعنا المعطيات التاريخيّة المتوفّرة لدينا حول قبول في الكنيسة الجامعة، يتبيّن لنا أنّ **الادّعاء بأنّه "مؤسّس للمسيحيّة"** هو غير واقعيّ؛ فمن الواضح أنّه لم ينعم منذ البدء بالأهمّيّة التي اكتسبها لاحقًا وشيئًا فشيئًا في كنيسة المسيح؛ فعندما كان ما زال على قيد الحياة، حقّق نجاحات رسوليّة لافتة في مدينتَي أفسس وكورنتس، إلاّ أنّه هُزِم في أورشليم، إذا جاز التعبير، إذ تمّ توقيفه (أع ٢١: ٢٧، ٣٤) وتجميد نشاطه الرسوليّ لمدّة سنتين كان خلالها سَجينًا في قيصريّة فلسطين (أع ٢٤: ٢٣، ٢٧)، ثمّ وُضِعَ لمدّة سنتين في الإقامة المراقبة في مدينة روما (أع ٢٨: ١٦، ٣٠)، قبل أن يُقطع رأسه، كما يُخبرنا التقليد. لا نعرف شيئًا واضحًا

عن نهاية حياته في روما، وهذا ما يبدو مستغربًا بالنسبة إلى شخص استثنائيّ يُعتَبَرُ أنّه مؤسِّس ديانة! يقول تْرُوكْمِي أنّنا لا نجد بين معاصريه إلاّ بشكل نادر، أي في الجيل المسيحيّ الأوّل، مَن يرى فيه المفكّر القويّ لديانة المسيح، والسابق الأكثر جرأة لتنظيم الكنيسة العتيد[٣١].

لقد استغرق "قبولُ" بولس في الكنيسة بعض الوقت، إذ توجّب عليه أن يجاهد ضدّ اليهود الذين نبذوه، وضدّ اليهو–مسيحيّين المتحفّظين على تبشير الوثنيّين. وقد ساهم لوقا، من خلال وضعه سفر أعمال الرسل، حوالى خمسة عشر عامًا بعد غياب بولس، في ردّ الاعتبار إليه.

يبدو أنّ الرسائل المنسوبة إلى بولس، وتحديدًا الرسائل إلى تلميذَيه تيموتاوس وتيطس، وأهل أفسس، قد نُشِرت بعد ثلاثين عامًا من غيابه، لكنّ هذه المسألة ليست الآن موضوع اهتمامنا.

إنّ رسالة بطرس الثانية (حوالى سنة ١٢٥)، بالرغم من أنّها تصنِّف رسائلَ بولسَ بين "الكتب"، هي شاهد حاسم أيضًا في هذا المجال: "بولس، أخونا وصديقنا، كتب إليكم وفْق الحكمة التي وُهِبت له... في رسائله كلّها... هناك مقاطع صعبة، يحرّفها الجهلةُ وغير الثابتين" (٢ بط ٣: ١٥–١٦).

لدينا مثلٌ جيّد عن هذا التحويل في المعنى، يرقى إلى حوالى سنة ١٤٠، ألا وهو مرْقْيُون الهرطوقيّ الذي كان يرذل البيبليا اليهوديّة؛ فلقد حاول أن يُنشئ نوعًا من البولُسيّة الجذريّة، معتمدًا في ذلك على رسائل بولس. لم يتمّ تكريس هذا الأخير فعليًّا سوى سنة ١٨٠ تقريبًا.

كان المسيحيّون القادرون على القراءة إذًا يقرأون رسائل بولس. مع ذلك، قد يمكننا أن نقول أنّ فكر بولس لم يُستَوعَب إلاّ شيئًا فشيئًا. في كلّ حال، لقد أصبح بولس عامودًا حقيقيًّا للإيمان المسيحيّ. كلّ ذلك يدفعنا إلى الاستنتاج أنّنا **بعيدون عن فكرة "مؤسِّس" مفترض للمسيحيّة.**

٥ – بولس يعرف أقوال يسوع وينقلها بأمانة

نكتشف في رسائل القدّيس بولس أقوالَ الربّ يسوع الكامنةَ وراء ما علّمه رسول الأمم في بشارته وفي رسائله، والتي يبدو بوضوح أنّه كان متشبّعًا منها[٣٢]. في مقال آخَر مكمِّل[٣٣] سنستلّ بعض الأمثلة من رسالته **الأولى إلى الكورنثيّين** ونقابلها بأقوال مماثلة عائدة إلى الربّ يسوع ومحفوظة في الأناجيل، بهدف أن نؤكّد أنّ ما خطّه بولس في رسائله هو امتداد لأقوال يسوع وصدى لها، وهذا ما تلقّاه من التقليد الرسوليّ الحيّ القائم قبله، والذي يعلن بوضوح أنّه نقله بأمانة، وهذا ما أكّده في رسالته الأولى إلى أهل كورنتس: "فَأَنَا تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُهُ إِلَيْكُم..." (١ كو ١١: ٢٣–٣٢).

٦ – القطيعة بين المسيحيّة واليهوديّة هي لاحقة لبولس

نتبيّن انفصال المسيحيّة عن اليهوديّة[٣٤] من خلال ما جرى في مجمع أورشليم، الذي التأم حول الرسل الاثني

(31) Cf. Tom Wright, *Che cosa veramente ha detto Paolo*, Torino, Claudiana, 1999.

(٣٢) أيوب شهوان، "بولس يعرف أقوال يسوع وينقلها بأمانة. مقارنة بين كورنتوس الأولى والأناجيل"، **مجلّة بيبليا** ٥٩ (٢٠١٣).

(33) Steven T. Katz, "Issues in the Separation of Judaism and Christianity after 70 C.E.: A Reconsideration", *Journal of Biblical Literature*, 103/1, p. 64s. Cf. James D. G. Dunn, *Jews and Christians: the parting of the ways, A.D. 70 to 135*, 1992.

(34) Cf. André Paul, *Jésus Christ, la rupture. Essai sur la naissance du christianisme*, Paris, Bayard 2001.

عشر وبولس (أع ١٥: ٥–٢٩)؛ فلقد رفض المجتمعون ختان الوثنيّين الذين كانوا يهتدون إلى المسيحيّة، وكان ذلك بمثابة نوع من القطيعة مع اليهوديّة التوراتيّة[٣٥]. وفي ثورة سنة ٧٠ ب. م.، التي قام بها اليهود على الرومان بهدف التحرّر منهم، رفض اليهو–مسيحيّون أن يدخلوا الحرب ضدّ الرومان، ممّا اضطرّ كثيرين منهم إلى أن يفرّوا إلى عبر الأردن، وتحديدًا إلى بِلّاّ. بسبب ذلك، وُجِّهتْ البركة الثانية عشرة من صلاة الـ"عميده" اليهوديّة، وهي "بركة ضدّ الهراطقة" (ברכת המנים)[٣٦]، علمًا أنّها في الواقع لعنة على اليهو–مسيحيّين[٣٧] من أجل استبعادهم من المجمع[٣٨]. تزايدت هذه الظاهرة إبّان ثورة سنة ١٣٥ التي قادها بَرْ كُوخْبا ضدّ الرومان، والتي رفض اليهود المسيحيّون المشاركة فيها، فراح بَرْ كُوخْبا يضطهدهم بلا هوادة، فارتسم طرقان مختلفان، وتثبّتت القطيعة بين الاثنين[٣٩].

٧ – هو يسوع من أسّس الكنيسة وليس بولس

لم يكن بولسُ الأوّل في دفْع اليهوديّة نحو تطوّر جديد؛ فلقد فتح يسوع الطريق لذلك بطريقة بارعة، وهو الذي صنع الجوهريّ في هذا المجال.

لم يتبرّأ الرسلُ من بولس، في الوقت الذي كان فيه يمكن أن تكون هناك توتّرات هامّة معه، لا بل بالعكس من ذلك؛ وكما يخبر سفر أعمال الرسل، استقبله الإخوة ومَن معه بفرح لدى وصولهم إلى أورشليم: "فلَمَّا وَصَلْنا إِلى أُورشليم رَحَّبَ بنا الإِخوةُ فرِحين" (أع ٢١: ١٧). وكانت للكنائس التي أسّسها بولس العقيدةُ الأساسيّةُ ذاتُها التي لغيرها من الكنائس.

لقد نبذت استقراطيّةُ الهيكل الصدّوقيّةُ يسوعَ[٤٠]، بعد أن كان قد نجا مرّات عدّة من الرجم ومن إلقاء القبض عليه (لو ٢٠: ١٩)، كون شخصيّته ورسالته كانتا إشكاليّتَين، إلاّ أنّ **تعليمه كان مثيرًا** أو حتّى صادمًا، وهذا ما نتبيّنه ممّا يلي:

– من الواضح أنّ يسوع كان يريد صراحةً أن يغفر الخطايا، كما جاء في مر ٢: ٥–٦: "فلمَّا رأَى يسوعُ إِيمانَهم، قالَ للمُقعَد: يا بُنَيَّ، غُفِرَت لكَ خطاياك. وكانَ بينَ الحاضرينَ هناكَ بعضُ الكتبة، فقالوا في قلوبِهم: ما

(35) Pieter Willem van der Horst, "The Birkat ha-minim in Recent Research", *The Expository Times*, 1994, p. 367s; Pieter Willem van der Horst, *Hellenism, Judaism, Christianity: Essays on their Interaction*, Kok Pharos: 1998, p. 113: "... who humblest the insolent" (Palestinian recension). The 12th *berakhah* in the Jewish *Shemoneh Esreh* (Eighteen [benedictions]) is usually called the *Birkat ha-minim*, 'the blessing of the heretics', which is a euphemism for a curse".

(36) Rashi on *BT Megillah* 17b: "The *minim* are disciples of Jesus the *Notzri* which is why they put Birkat haMinim ...". Cf. Marvin R. Wilson, *Our father Abraham: Jewish roots of the Christian Faith*, Wm. B. Eerdmans: 1989, p. 68: "We must emphasize that only two texts of the *Birkat ha-Minim* (both found in the Cairo Genizah) explicitly mention Christians. Both texts refer to "the Christians [*notzrim*, ie, the Nazarenes] and the heretics / minim]". Simon C. Mimouni, « La «Birkat ha-minim»: « Une prière juive contre les judéo-chrétiens », *Revue des Sciences Religieuses* 71 (1997) 275-298. Liliana Vana, « La *Birkat ha-minim* est-elle une prière contre les judéo-chrétiens? », in Nicole Belayche et Simon C. Mimouni, *Les communautés religieuses dans le monde gréco-romain. Essais de définition*, Turnhout, 2003, p. 201-241.

(37) "Blessing on the heretics" is a Jewish prayer of blessing on heretics in general, and sometimes Christians, though in this context "blessing" may also be a euphemism for a curse. The blessing is the 12th of the Eighteen Benedictions or *Amidah*.

(38) Cf. James D. G. Dunn, *Jews and Christians: the parting of the ways, A.D. 70 to 135*, 1992.

(٣٩) اتّفق الصدوقيّون مع الفرّيسيّين على معاداة يسوع. وتذكر الأناجيل حوادث عدّة حاول فيها الصدّوقيّون والفرّيسيّون الإيقاع به: "ودَنا الفِرِّيسيُّونَ والصَّدُّوقيُّونَ يُريدونَ أَن يُحرِجوه، فسأَلوه أَن يُرِيَهم آيةً مِنَ السَّماء" (مت ١٦: ١). ويورد مت ٢٢: ٢٣–٣٣ الحادثة الشهيرة للمجابهة بين الصدّوقيّين ويسوع عندما سألوه عن قيامة الموتى، بحسب رواية إنجيل متّى، واستطاع يسوع البرهان بآية من سفر الخروج عن القيامة، فقدّم بذلك خدمة جليلة للفريسيّين.

(40) *Ibid*, p. 110.

بالُ هذا الرَّجُلِ يَتَكَلَّمُ بذلك؟ إنَّه لَيُجَدِّف؛ فمَن يَقدِرُ أَن يَغفِرَ الخطايا إِلاَّ اللهُ وحدَه؟".

– يعزّز تأكيدُ يسوع بأنّه ابن الله بطريقة استثنائيّة إشكاليّةَ شخصيّته؛ فلقد قال: "الآب وأنا واحد" (يو ١٠: ١٤)، فتلقّى ردَّ اليهود المتوقَّع: "ليس من أجل عمل صالح نرجمك، بل بسبب تجديف، لأنّك أنت لست سوى إنسان تجعل من ذاتك إلهًا" (يو ١٠: ٣٠–٣٣).

– في مكان آخر، فاه يسوع بالتصريح الواضح والقويّ التالي: "قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن؛ فالتقطوا عندها حجارة ليرشقوه بها" (يو ٨: ٥٨–٥٩).

– قدّم نفسه للسامريّة على أنّه المسيح: "أنا هو، أنا الذي يكلّمكِ" (يو ٤: ٢٥–٢٦).

– وعن هويّته قال: "ها هنا أعظم من يونان... وأعظم من سليمان" (مت ١٢: ٤١–٤٢)؛ و"ها هنا أعظم من الهيكل... ابن الإنسان هو ربّ السبت" (مت ١٢: ٥، ٨). لقد عاش يسوع هذا اللقب بطريقة ليست زمنيّة محيّرة وغير متوقّعة.

– اتّخذ موقفًا ضدّ الطلاق (مت ١٩: ٣–٩)، وتبعه بولس في ذلك (١ كو ٧: ١٠).

– يبقى منطق المسامحة جوهريًّا بالنسبة إلى بولس، لذلك أعلن في رسالته إلى الكولسّيين: "لقد سامحكم الربّ، فاصنعوا كذلك أنتم أيضًا" (كول ٣: ١٣)؛ وذكّر التسالونيكيّين بذلك عندما كتب إليهم قائلاً: "أَمَّا المحبَّةُ الأَخويَّة فلا حاجةَ بكُم إلى أَن يُكتَبَ إليكم فيها لأَنَّكم تَعلَّمتُم مِنَ اللهِ أَن يُحِبَّ بعضُكم بعضًا" (١ تس ٤: ٩).

في إثر يسوع سار بولس بأمانة:

– كان يسوع قد قال: "لا تقاوموا الشرّير، بل قدِّم له الخدّ الآخر... أحبّوا أعداءكم" (مت ٥: ٣٩، ٤٣–٤٨)؛ و"طوبى للودعاء فإنّهم يرثون الأرض" (مت ٥: ٤)؛ وتبعه **بولس** في ذلك (رو ١٢: ١٤–٢١) وأعلن: "ما هو ضعيف في العالم، اختاره الله لكي يخزي القوّة" (١ كو ١: ٢٧)؛ "عندما أكون ضعيفًا، فعند ذلك أكون قويًّا" (٢ كو ١٢: ١٠)؛ فإنّ الأرض التي سيرثها الودعاء هي ملكوتٌ بشّر به يسوع. يؤكّد إ. تْرُوكْمِي حول هذه النقطة، بأنّ "الرسول بولس هو ثوريّ، كيسوع بالذات"[٤١].

– يترافق الولاء الأساسيّ تجاه السلطات السياسيّة مع أخذِ حرّيّة عند **يسوع** في قوله: "أدّوا لقيصر ما هو لقيصر، ولله ما هو لله" (مت ٢٢: ٢١)؛ وعند **بولس** أيضًا: " أَدُّوا لكلٍّ حَقَّه: الضَّريبةَ لِمَن له الضَّريبة، والخَراجَ لِمَن له الخَراج، والمهابةَ لِمَن له المهابة، والإِكرامَ لِمَن له الإِكرام" (رو ١٣: ٧)؛ لكنّ هذا لم يحُل دون الحكم على بولس بالموت على يد الرومان، كما حصل ليسوع.

– لقد استوعب **يسوع** متطلّبات الديانة اليهوديّة، وبالتحديد "الوصايا" (מִצְוֹת)، مكمّلاً إيّاها "بالروح والحقّ"، كما قال: "ولكن تأتي ساعةٌ، وقد حَضَرتِ الآن، فيها العِبادُ الصادقون يَعبُدونَ الآبَ بالرُّوحِ والحقّ؛ فمِثْلَ أُولئكَ العِبادِ يُريدُ الآب. إِنَّ اللهَ رُوح، فعَلَى العِبادِ أَن يَعبُدوهُ بالرُّوحِ والحقّ" (يو ٤: ٢٣–٢٤).

– مع **يسوع**، نظام الطاهر والنجس أُعطِي بُعْدًا روحيًّا: "ما مِن شيءٍ خارجٍ عنِ الإِنسان إِذا دخَلَ الإِنسانَ يُنَجِّسُه، ولكِن ما يَخرُجُ مِنَ الإِنسان هو الَّذي يُنَجِّسُ الإِنسان... فقالَ لهم: أَهكذا أَنتم أَيضًا لا فَهِمَ لكم؟ أَلاَ تُدرِكونَ أَنَّ ما يدخُلُ الإِنسانَ مِنَ الخارِجِ لا يُنَجِّسُه، لأَنَّهُ لا يَدخُلُ إِلى القَلب، بل إِلى الجَوف، ثُمَّ

(٤١) "في قلوب الخطأة عششت الخطيئة وكثُرَت، لكنّ يسوع كان يذهب إليهم، ويغمرهم بفيض محبّته ونعمته. كان يخرج ليبحث عنهم، ويدعوهم قائلاً: تعالوا إليّ! وعندما يسألونه شرحًا كان يقول لهم: ليسَ الأَصحّاءُ بمحتاجينَ إِلى طبيب، بلِ المَرضى. ما جئتُ لأَدعُوَ الأَبرار، بلِ الخاطِئين، جئت لأشفي وأُخلّص" (البابا فرنسيس، عظة في ٢٠١٣/١٠/٢٢).

يَذهَبُ في الخَلاء. وفي قَولِه ذلك جَعَلَ الأَطعِمَةَ كُلَّها طاهِرة" (مر ٧: ١٥، ١٨–١٩)؛ هذا ما سيطبّقه **بولس** خاصّةً مع غير اليهود: "أنا أعلم، وأكيد بالربّ يسوع، ليس شيء نجسًا بحدّ ذاته" (رو ١٤: ١٤–١٥).

– لقد روحن **يسوع** الهيكل عندما قالَ للسامريّة: "صَدِّقيني أَيَّتُها المرأَة، تأتي ساعةٌ فيها تَعبُدونَ الآب لا في هذا الجبل ولا في أُورشَليم" (يو ٤: ٢١)؛ لقد روحنه أيضًا وأيضًا من خلال إزالة ذبائح الحيوانات وبتقدمته جسده هو كما قال لليهود: "أُنقُضوا هذا الهيكل أُقِمْهُ في ثلاثةِ أَيّام. فقالَ اليهود: بُنِيَ هذا الهيكلُ في ستٍّ وأَربعينَ سنة، أَوَأَنتَ تُقيمُه في ثلاثة أَيّام؟ أَمَّا هو فكانَ يَعني هيكلَ جسدِه" (يو ٢: ١٩–٢٢)؛ سيقول **بولس** كلامًا مماثلاً: "إِنَّ اللهَ الَّذي صَنَعَ العالَمَ وما فيه، والَّذي هو رَبُّ السَّماءِ والأَرض، لا يَسكُنُ في هياكلَ صَنَعَتها الأَيدي" (أع ١٧: ٢٤)؛ "أَما تَعلَمونَ أَنَّكُم هيكلُ اللهِ، وأَنَّ رُوحَ اللهِ حالٌّ فيكم؟ مَن هَدَمَ هيكلَ اللهِ هَدَمَه اللهُ، لأَنَّ هيكلَ اللهِ مُقدَّس، وهذا الهيكلُ هو أَنتُم" (١ كو ٣: ١٦–١٧)؛ "أَوَ ما تَعلَمونَ أَنَّ أَجسادَكُم هي هيكلُ الرُّوحِ القدس، وهو فيكُم قد نِلتُمُوه مِنَ اللهِ، وأَنَّكُم لستُم لأَنفسِكم؟" (١ كو ٦: ١٩).

– سيصدم **يسوع** بمعاشرته الخطأة[٤٢]، كالسامريّة (يو ٤)، وزكّا العشّار (لو ١٩)؛ وسيقول **بولس** أنّ يسوع صار خطيئة لأجلنا: "ذاكَ الَّذي لم يَعرِفِ الخطيئةَ جَعَلَه اللهُ خطيئَةً مِن أَجْلِنا كيما نَصيرَ فيه بِرَّ اللهِ" (٢: كو ٥: ٢١)؛ "لأنّه "حيث كثرت الخطيئة فاضت النعمة" (رو ٥: ٢٠). لن يفعل بولس شيئًا سوى توضيح انفتاح يسوع، أي الإلغاء والتتميم، الإيمان والمسامحة المجّانيّة والأعمال، مع الإشارة إلى أنّه لم يكن هاويًا لكتابة أطروحات لاهوتيّة، الأمر الذي كان يمكن أن يقوم به مؤسِّسُ ديانةٍ ما.

٨ – يسوع خارج القاعدة وبولس على خطاه

لقد زلزل شخصُ **يسوع** وتعليمُه جدًّا الفكرَ اليهوديَّ والبشريَّ على حدّ سواء؛ بالتالي، هل كان **بولس** يتمتّع بالسلطان الكافي ليجعل يسوعًا كهذا معتمَدًا من قِبل رُسُلٍ يمكن أن يكونوا قد عاشوا مع يسوع آخَر غير الذي عرفوه، "ذاك الَّذي سَمِعوه، ذاك الَّذي رَأَوهُ بِعَينَيهم، ذاكَ الَّذي تَأَمَّلوه، ولَمَسَتْه يَداهم" (١ يو ١: ١؛ رج أ ٣)؟ لو فعل بولس ذلك لَفَقَدَ مصداقيّته ونُبذ هو ورسالته. على العكس من ذلك، كان ينبغي اقتحامُ شخصيّةٍ خارجةٍ عن المألوف، تمامًا مثل يسوع، وأحداث غير معتادة، كي يفرض إنجيلُهُ ذاتَه على يهودٍ معتادين على الممارسة المادّيّة المحسوسة، من تقديم ذبائح وقرابين وتقادم، وقيام بالحجّ وبمتطلّباته، وغير ذلك من العادات والتقاليد التي تكاثرت إلى حدّ صارت أنّها صارت "أحمالاً ثقيلة" (مت ٢٣: ٤) لا تُطاق.

لا يمكن أن تكون وحدة الإيمان المسيحيّ الحيّة وتناغمها، الذي يتميّز بالتنوّع الجغرافيّ وبتنوّع الأشخاص، مع ما لدى كلٍّ منهم من ميول خاصّة، إلاّ عمل الربّ يسوع.

مع التأكيد **أنّ بولس لم يكن مؤسِّسَ المسيحيّة**، يجب الإقرار بالمقابل بأنّه ساعد المسيحيّين على أن يكتشفوا تداعيات علاقتهم الجديدة مع قلب الله المفتوح على الناس كلّهم[٤٣].

(42) Paul Bony, « La place de Paul dans le développement du Christianisme », Esprit et Vie, n° 126 avril 2005, p. 1-8.

خاتمة

استنادًا إلى ما تقدّم، وانطلاقًا من الواقع التاريخيّ، يمكننا اعتبار الادّعاء بأنّ بولس هو مؤسّس المسيحيّة قد أمسى قولاً من الزمن الخالي، فلا يجوز بالتالي المبالغة في أهمّيّة بولس وفي دوره إلى حدّ اعتباره مؤسّس المسيحيّة. لم يتصرّف بولس وكأنّه شخص من الخارج، هبط من العدم في وسط أتباع يسوع الأوائل، وصار معهم ومثلهم رسولاً، كما أنّه لا يمكن اعتبار مواقفه وتعاليمه وآراءه شخصيّة بالكلّيّة؛ فبين يسوع وبولس لم يكن هناك أيّ فراغ، بل حبٌّ شديدٌ جذبَ به الربُّ يسوعُ إليه مضطهِدَه شاولَ–بولس، وحبٌّ شديدٌ كان يحرّك قلبَ بولسَ إلى حدّ الإعلان: "حياتي هي المسيح" (فيل ١: ٢١). لحسن الطالع لدينا رسائل مكتوبة بخطّ يد بولس لا تُقَدَّر بثمن، لأنّها مؤسَّسة على شخص يسوع، ما هي إلاّ امتداد لرسالة الربّ ولتعليمه.

لذا نؤكّد أنّ يسوع وحده هو المؤسّس الحقيقيّ للمسيحيّة، وهو الذي جذب إليه مَن دُعُوا لاحقًا مسيحيّين (أع ١١: ٢٦) وشكّلوا معًا الكنيسة.

مراجع

ابن حَزْم الأندلسيّ، **الفصل في الملل والأهواء والنِحل**، مطبعه الموسوعات، مصر سنه ١٩٠٤.

برّو العامليّ، محمّد علي، **الكتاب المقدّس في الميزان**، الدار الإسلاميّة، بيروت، لبنان ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

الحريريّ، أبو موسى، **قسٌّ ونبيّ. بحث في نشأة الإسلام**، ١٩٧٩.

زكي، أحمد، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، توزيع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥.

قزّي، جوزف، **نزعنا القناع**، نِسْبَيْه، لبنان ١٩٩٧.

كركور محمّد إبراهيم ، **تطوّر المسيحيّة بين عيسى عليه السلام وبولس**. الناشر: مركز التنوير الإسلاميّ ٢٠٠٦.

عبد الجبّار، **تثبيت دلائل النبوّة**، المحرّر سنة ٩٩٥.

هاشم، شريف محمّد، **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، مؤسّسة الوفاء، بيروت، لبنان ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

Baur Ferdinand Christian, « Die Christuspartei in der Korinthischen Gemeinde, der Gegensatz des petrinischen und paulinichen Christenthums in des ältesten Kirche, der Apostel Paulus in Rom », *Tübinger Zeitschrift für Theologie* 4 (1831) 61-206.

Belayche Nicole et Mimouni Simon C., *Les communautés religieuses dans le monde gréco-romain. Essais de définition*, Turnhout, 2003.

Ben Chorin Shlomo, *Bruder Jesus*, München: Paul List, 1967.Ben Talal El Hassan, *Islam et Christianisme*, Brepols, 1997.

Bony Paul, « La place de Paul dans le développement du Christianisme », *Esprit et Vie*, nº 126 avril 2005, p. 1-8.

Boubakeur H., *Le Coran*, Fayard 1985.

Boubakeur H., *Traité moderne de théologie islamique*, 1985.

Dunn James D. G., *Jews and Christians: the parting of the ways, A.D. 70 to 135*, 1992.

Empereur Jean-Yves, *Alexandrie Hier et Aujourd'hui*, Gallimard - Collection : Découvertes Gallimard, Culture et Société 2001.

Flusser David , *Jésus*, Paris: Seuil, 1970.

Graetz H., *Geschichte der Juden von den ältesten Zeiten bis zur Gegenwart,* 11 vol., Leipzig, 1853-1870, cité par D. Hagner, *op. cit.,* 144-145.

Katz Steven T., "Issues in the Separation of Judaism and Christianity after 70 C.E.: A Reconsideration", *Journal of Biblical Literature*, 1031/, p. 64s.

Laurent Annie, « L'offensive de Creil », in *L'Homme Nouveau*, no 1351, 4 septembre 2005.

Le Monde des religions, no 22, mars-avril 2007.

Maccoby H., *The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity*, Londres, Weinfeld and Nicholson, 1986.

Mimouni Simon C., « La «Birkat ha-minim»: « Une prière juive contre les judéo-chrétiens », *Revue des Sciences Religieuses* 71 (1997) 275-298.

Paul André, *Jésus Christ, la rupture. Essai sur la naissance du christianisme*, Paris, Bayard 2001.

Pines Shlomo, in The Collected Works of Shlomo Pines, Vol. IV, *Studies in the History of Religion* by Guy G. Stroumsa, The Magnes Press, Jerusalem 1996, p. 211-486.

Platti Emilio, *Islam…étrange?*, Cerf, 2000.

Rashi on *BT Megillah* 17b:

Reynolds Gabriel Said, *A Muslim Theologian in the Sectarian Milieu: 'Abd Al-Jabbār and the Critique of Christian Origin*, Brill, Leiden, 2004.

Trocmé Étienne, « Paul fondateur du christianisme », dans : *Aux origines du christianisme*, textes présentés par P. GEOLTRAIN, Gallimard, Paris 2000, p. 370-399.

Trocmé Étienne, *Saint Paul*, PUF, Que sais-je?, 2003.

Vana Liliana, « La *Birkat ha-minim* est-elle une prière contre les judéo-chrétiens? », in Nicole Belayche et Simon C. Mimouni, *Les communautés religieuses dans le monde gréco-romain. Essais de définition*, Turnhout, 2003, p. 201-241.

Willem van der Horst Pieter, "The Birkat ha-minim in Recent Research", *The Expository Times*, 1994.

WILLEM van der HORST Pieter, *Hellenism, Judaism, Christianity: Essays on their Interaction*, Kok Pharos: 1998.

WILSON Marvin R., *Our father Abraham: Jewish roots of the Christian Faith*, Wm. B. Eerdmans: 1989.

WRIGHT Tom, *Che cosa veramente ha detto Paolo*, Torino, Claudiana, 1999.